

تطور العربية رهن بتطوير الفكر العلمي عند العرب

ليس في العربية الآن ما يسهل حاجتها الباصت

الأستاذ عبد الرزاق مجي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي (بغداد)

1 — الاختلاف القائم بين لغة البيت والسوق والحديث الدارج من جهة وبين لغة الكتابة والخطابة من جهة أخرى . فما دام الحديث الدارج يجري بلهجة غير معربة ، وبفردات يكثر فيها المحرف والهجين فسيظل الفرد العربي مواجها لصعوبة تعلم الفصحى المعربة وشاعرا بثقل تعلمها .

ان اختلاف اللهجات الناشئة من ام واحدة امر تقتضيه طبيعة كل لغة تتسع او تتباعد اقطارها ، ويستحيل بذلك الغاء جملة الفوارق مهما بذل من جهد ، ولكن وحدة الكتاب المدرسي في التعليم ووحدة وسائل الاعلام الاخرى ستتمكن — دون شك — من تقارب اللهجات ، وتخفيف الفوارق بينها ، وستساعد بمرور الايام على ايلاف الفصحى المعربة .

وبمحض المقارنة بين ما كان عليه الفرد العربي قبل خمسين عاما وبين ما هو عليه الآن نشهد اللهجات العربية المختلفة وقد اخذت تلتقي على كثير من المفردات والتعابير حتى في الاوساط العامية .

2 — كتابة العربية : وتبدو المشكلة في ضبط حروف المفردة . ذلك ان القارئ المبتدىء والشادي لا يجد لحركة الحرف اداة مكتوبة ضمن الكلمة المكتوبة بحيث ينطقها مضبوطة بتوجيه من الحركة — كما هو الحال في اللغات الاوربية — ولذلك فالقارئ مضطر ان يهتدي الى حركة غير مكتوبة ، فيتردد بين الحركات المختلفة للحرف .

والحل الضروري في رأيي ان يهتدي الى طريقة تكتب فيها الحركات ضمن حروف الكلمة وبذلك

قبل الاجابة على السؤال الاول اود ان استوضح ماذا يراد من كلمة « العالم » ؟ اهو العالم العربي ام العالم جملة ؟

فان يكن الثاني (وهو ما يقتضيه اطلاق كلمة «العالم») فالجواب عليه :

ان انتشار اي لغة انتشارا عالميا يتوقف على امور كثيرة ، يرتبط اهمها بمركز الامة العلمي والحضاري ، وبمنزلتها الدولية ، وباستشعار امم العالم ضرورة تعلم لغتها للتعامل معها بفهم ما عندها ، والتفاهم معها ، اما للانتفاع بها لديها من علم او فن او الاحتراس من خطرها وسطوتها .

وكون تعلم اللغة وتيسير انتشارها — ومنها العربية — صعبا او ميسرا يأتي في المرحلة الثانية من الاسباب . فاللغة العربية يوم كانت لها دولة ذات شأن وتأثير في العالم تعلمتها امم مختلفة ، وكتبت وتحدثت بها شعوب بعيدة وقريبة ، ولم يحل بينها وبين ذلك صعوبتها وبعدها عنها ، هذا لكان سطوتها وسمو دعوتها ، وتأثر الامم بدينها .

واذن ، فبسيبيل انتشار العربية بين امم العالم ان تعود الامة الناطقة بها ذات شأن عالمي يغري الامم الاخرى بتعلمها ، او يضطرها الى تعلمها . وهذا فيما اتوقع واقع مقبل قريبا ان شاء الله .

واذا كان المقصود من كلمة « العالم » العالم العربي وهو ما اظنه مقصودا في السؤال ومن اللغة العربية « الفصحى المعربة من لهجاتها » فاهم المشاكل في نظري ثلاثة :

يزول كثير من غلط النطق ، ويسر حفظ المفردة بشكلها الصحيح .

انه بذلك قد تشوه صورة الخط العربي المؤلف ، ويباعد على وجه اليقين بيننا وبين الماثور من مخطوطاتنا ومطبوعاتنا ، الا ان علاج هذه المشكلة المستعصية يحتم علينا قبول ذلك ، ويفرض علينا التنازل عن بعض المزاي التي نجتنيها الآن من المحافظة على جمال الخط ومن الانتفاع بالاثار المخطوطة .

على انه يمكن اعادة طبع المطبوع قديما بالصورة الخطية الجديدة ، وبذلك نتجنب خسارة الماثور .

علينا ان نوازن بين امرين : التيسير لمشكلة قائمة تتصل باجلائنا المعاصرة والقادمة ، ومزينة جمالية وآثارية لا يستشعرها الا المعاصرون . لقد اختلف شكل الخط العربي مرات متعددة عبر التاريخ ، ولا بد ان يكون قد رافق كل تغيير فترات لبعض المزاي الجمالية والآثارية الا ان ذلك لم يوقف حركة التغيير حيث وجدت له ضرورة ، بل لم نستشعر انه حصل على اثر ذلك كثير اسي او كبيرضجة بل لعلنا استشعرنا من الآثار ما يؤكد الارتياح للتغييرات التي حدثت بما استحدثت من صور جمالية جديدة .

3 - مشكلة الاعراب - حركة الآخر -

تبقى بعد هذا حركة الاعراب القائمة على آخر الكلمة فان الاهتداء اليها من العرب الخالص الاوائل امر يستدعي العجب ، ويعني فيها وطيعا خاصا ما تزال الحيرة تراود الباحثين بشأنه . وليس لدينا من وسيلة الآن للاهتداء الى ذلك الا تعلم « النحو العربي » ولكن تعلم النحو امر يتطلب جهدا شاقا وانصرافا جديا ربما يعادل تعلم جملة علوم .

وفي رأيي ان تيسير ذلك يكون بالاعتماد على الاكثر من القراءة الصحيحة ، والدربة عليها مستعنيين على ذلك بما قدمت بشأن رسم الكتابة العربية ليستعان بحركة الآخر المكتوبة بهيئة حرف على النطق رفعا ونصبا وجرا . وبالدرية على النطق الصحيح عن طريق شكل الحرف الآخر .

اما التجارب التي استحدثت في تيسير النحو بالغناء بعض ابوابه ، وبايجاز قسم منه فلم تكشف حتى الآن عن نجاح ، وبقي ما كتب الاقدمون ضرورة لازمة لمن يريد تعلم النحو العربي .

ان حدوث اللحن على السنة الناطقين العرب ليس شيئا جديدا تميز به هذا العصر ، بل ليس شيئا جديدا حتى على العصور الاسلامية الاولى ، ولست اتحاشى ان ازعم ان اللحن قائم قيام اللفظة العربية ، لهذا لا اجد سبيلا لامكانية التخلص من اللحن .

ولست افسر الشذوذ والندور والقلة الماثورة عن العرب في كتب النحو الا نوعا من الخروج على التواعد العامة ، نتيجة الجهل بها ، وعدم الفاني لكل الناطقين ان يلتزموا القاعدة العامة .

اريد ان اخرج من هذا الى ان ظاهرة اللحن ظاهرة طبيعية كان وسيظل الخلاص منها امرا مستحيلا على مجموع افراد الامة . وان التاريخ الذي حدد فيه ظهور اللحن كان تحديدا لانتشاره وكثرته لا مجرد حدوثه .

4 - اللغة العربية من حيث الوفاء بالانكار وبالخواطر العليا صالحة للتدريس الجامعي من دون شك ، وهي قد كانت كذلك يوم ترجمت اليها علوم الاولين مما لم يكن لها عهد سابق به ، بل انها استطاعت بعد فترة ان تصبغ الوعاء الوحيد للمعرفة والمصدر الذي رجعت اليه اللغات الاخرى . والذين يخامرهم الشك في صلاح اللغة العربية بصورتها القائمة للدراسة الجامعية يبررون شكهم بانتطاع العربية لفترة طويلة عن مواكبة النهضة العلمية المعاصرة ، وينشوء افكار ومسميات لم تعرفها العربية من قبل ، ولم تأخذ لها مكاتبا في مراجعها وكتبها .

الدراسة الجامعية تعني - فيما تعني - البحث والتتبع والرجوع الى المصادر والامهات وليس في العربية الآن ما يسد حاجة الاستاذ الباحث والطالب المعقب ولهذا يذهب من يذهب الى عدم صلاح اللغة العربية بصورتها الحاضرة الى الدراسة الجامعية .

والاعتراف بهذا الواقع لا بد منه ، وانكاره لا ينفع العربية ولا يقدمها او يجعل منها لغة تفسي بتطلبات العصر بما جد فيه من علوم وفنون .

ولكن الاعتراف بهذا الواقع شيء والرضا عنه والسكوت عليه شيء آخر .

انقيم على هذا الواقع ونقره ونسترسل معه الى ان تصبح لغتنا لغة سوق ومنزل ام نعمل على

تغيير هذا الواسع ، وننتقل بلغتنا الى ان تكون لغة علم ؟

مشكلة المصطلح :

وفيما يتصل بالمصطلح العلمي فان مشكلته تأتي من ناحيتين :

(ا) عدم كفاية المصطلحات العلمية الموجودة الآن في اللغة العربية لسد حاجات ما جد من آراء ومسيات . وسد هذه الحاجة ضروري لجعل العربية صالحة للتدريس في الجامعات وبخاصة في العلوم . وسبيل ذلك نهضة جدية تشارك فيها الجامع العلمية والجامع اللغوية فيعمد المتخصصون في الجامع العلمية الى وضع المصطلحات كل بحسب اختصاصه وكما يراه انسب ، ثم تعرض على الجامع اللغوية للاستشارة والمناقشة والتنسيق والانتهاء الى افضل المصطلحات واكثرها مطابقة واتساقا مع الصيغ العربية ، ثم تعمم تلك المصطلحات على الدوائر العلمية والمعاهد والجامعات شىء من هذا يحدث الآن ، لكن نشاطا اكبر وعملا اوسع لابد ان يعمل في هذا الباب .

(ب) اختلاف المصطلحات بين عالم وآخر وجامعة واخرى ، وعلم وسواه ، وقطر وقطر الامر الذي يحدث البلبلة في المراد من هذه المعاني ، وهذه ظاهرة متوقعة في هذه الفترة من نهضة العلمية ، اذ لا تستقر المصطلحات وتأخذ مكانها الا بعد فترة من الزمن ، وبعد تدافع بينها الى ان يأخذ كل مصطلح مستقره في كتب الباحثين . ولو نظرنا الى مصطلحات العلوم والفنون التي نشأت في القرن الثاني الهجري واولئل النهضة العربية لراينا انها لم تأخذ مكانها من الاستقرار والثبات الا في القرن الرابع .

كل ما نستطيع عمله الآن ان نختصر الوقت غاية ما يمكن لان تأخذ المصطلحات العلمية مكانها من الاستقرار .

ان عجز اللغة يعني عجز اهلها والناطقين بها ان يبلغوا درجة الوفاء بالاغراض العلمية وبهذا تلقى الثبنة عليهم لا على اللغة . ليست لغة الامة الا الصورة التعبيرية لما يجول في افكار ابنائها ، ولما يدخل في نطاق محصول المعرفة عندهم ، وليس بإمكان اي لغة ان تكون شيئا غير هذا ، وسواء اكانت بالعربية مرونة وسعة ووفاء بالاغراض الجامعية ام لم يكن ، فان ما عليه حال ابنائها من العلم هو الذي يمكنها من الوفاء او يقتصر بها عن الوفاء .

ورأيي في المسألة ما يلي : -

(ا) في الانسانيات :

في الفترة المعاصرة وبعد ترجمة كثير من الآثار الانسانية الاجنبية، وقيام جامعات عربية كثيرة يدرس فيها اساتذة عرب تخصصوا في علوم وفنون مختلفة ، وتدرروا على نقل الآراء والانكار من لغاتها الاصلية الى اللغة العربية احسب ان تدريس العلوم الانسانية باللغة العربية امر ممكن من الناحية العملية واهم واجب من الناحية القومية هذا مع الاستمرار على الانتفاع باللغة الاجنبية والرجوع اليها كلما اقتضت ضرورة .

(ب) في العلوم :

أما في العلوم البحتة فبما انه لم يكتب لها في العربية كتب امهات ولم يترجم فيها الى العربية منها قسط كاف يفي بالبحث العلمي فان التدريس باللغة الاجنبية شىء لازم ، مع الحرص على تعريب العربية لها وتداخلها ، بتأليف كتب ومترجمات توضع تحت يد الطلاب وفي المكتبات تمهيدا لاتامة مكتبة عربية في هذه العلوم .